الاول وهو يقضي باعتبار كل محرق للفحم الحجري مذنباً جداً حتى انهم وجدوا مرة رجلاً يشعل فحماً فاخذوه وشنقوه في الحال اما الان فانهم اذا كانوا لا يحرقون الفحم في انكلترا فان ذلك يعد عليهم بمثابة الشنق ويقضي على البلاد كلها بالخراب التام لانه لا يبيض وجهها الا ذاك السواد

## قلب المرأة

كانوا ثلاثةً يتجاذبون الحديث على شاطئ البحر وللامواج حركة دائمة في الهجوم والارتداد وازباد لا تكاد تبدو منه الاثار حتى يتلاشى فيصبح خبراً من الاخبار . وبالله من البحر ما اغرب طباعه فهو العظيم في لا نهايته حتى يحسب المسافر نفسه وقد غابت عنه اليابسة وراء الافق انه عادروحا من الله تطفو على سطح الماء . والعارف حده الواقف عنده والجبار العزيز صاحب الحول والطول والذليل الوضيع يمتطي الانسان ظهره فيقتاده من غير زمام والمتمكن في حامه حتى تحسبه بساطا من سندس النبات والهائج في سخطه حتى تنزعج منه الارض والسموات

اما الثلاثة فكانوا اليس وزوجها من بني الاميريكان وشابا فرنسويا من نخبة الشبان كانه لما قسمت بقية التفاحة ارث امنا حوآء على بناتها من بعدها كان لاليس اوفر حصة منها فما فاتها فردوس حتى استعاضت عنه بفردوس اتم كانت تمرح منه في نعيم بهيج داني القطوف وما كان فردوسها الذي تنعم فيه الاجمال هو الجحيم لمن تعشقه يشقى فيه ويحترق بناره .

والظاهر انه كتب على الرجل ان لا يتمتع بسعادة الفراديس عن يد النساء فقد اوجد بالفردوس الاول فكان عليه بسبب المرأة نحساً وشؤماً ولا يزال حتى الان كلما دنا من امرأة وهو يظنها فردوساً انقلب ما يتوهمه لديها سعادة واغتباطا الى شقاء وهم

وما كانت اليس كعامة النساء بل كانت جامعة لكل ما تتخيله النفس من المعاني الخفية كالخيال الرقيقة كالشعر ولكل ما تشتهيه الحواس الخمس فالعين ترتع منها في ابهج روض من الحسن والبهاء وتتمتع باجمل ما رسمته يد الحذق والابداع والاذن تتشنف منها بحديث ليس صوت الموسيقى باطرب منه ولا بالذّ منه وقعاً والانف ينشق مما يتضوع منها عرفا دونه العرف الطيب بل دونه عبير المسك او ارج الروض وقد مرت عليه نسمات السحر وبلله ندى الصباح واللسان يرشف من رضابها ما ينسيه طعم الشهد والعسل واليد تلمس منها هيكل الحسن مجسما فتحسبه دمية من ناصع المرمر وما هو الا خلق سوّي من ماء وطين سبحان من سواه

وما اشد المشابهة بين طباع البحر والمرأة في تقلب الاطوار وبعد القرار ولنا على ذلك من هذا الحديث اكبر برهان

التفت الزوج وندعوه باسم ويليم الى امرأته بعد حديث تافه تناول اشياء جمة على غير طائل فقال لها أما انت عازمة على الاستحمام قالت بلى ولكن ليس الان فاني سانتظر ريثما يهدا البحر ويسكن ثائر غضبه وهو ما لا بد من حدوثه بعد قليل على ما اكده لي صاحب الحمام وسابقى بصحبة المسيو روبر ( وهو اسم الشاب الفرنسوي ) الى ان تنتهي من حمامك او اعزم على الالحاق بك ثم غاب زوجها وعاد فبان بعد قليل على شاطئ البحر

وهو بلباس الحمام وقد برز بطنه المنتفخ تحمله رجلاه القصيرتان فيرسم الظل له خيالا من اقبح الخيالات . وكان البحر لا يزال على ازباده تتعاقب جيوش امواجه وهي في صدام دائم وليس على الشاطئ الا بعض افراد من الناس ومنهم صاحب الحمام لقيه المستر ويليم وهو نازل الى البر فاوصاه بعدم الابتعاد عن الشاطئ وبالحذر من تيار كان شديداً في ذلك اليوم ولكن صاحبنا الاميركاني لم يعبأ بهذه الوصية اذ اجاب عليها بقوله ان من كان مثلي يسبح كالسمكة لا يبالي بامثال هذه التيارات ثم القى بنفسه الى الماء واعتنق اللجة وخاض غمراتها

ولم يكد روبر يرى نفسه مختليا بناهبة لبه الهة ذلك الحسن حتى التفت الى اليس متهلل الوجه بشراً وسروراً وقال لها ينوب جناني وعيناي عن لساني القاصر في شكرك على ما اوليتني من المنة باسعادي بهذه الفرصة الثمينة التي تمكنني من التحدث معك بعيدين عن عين الرقيب وسمعه - اني لا افهم ما تقول واية فرصة تعني وانا لم اتعمد شيئا مما ذكرت - ياللعجب أو ما كان امتناعك اذن عن الاستحمام حجة لبقائك معي تملي من الحديث - يا لله من الرجال ما اشد غرورهم واقربهم الى الانجداع لما يزينه لهم وهم الزهو والاعجاب

وان كلمة واحدة من هذه الكلمات الجارحة كانت تكفي لان تصيب مقتلا من اي شاب كيف كان شانه فتلقيه صريعاً بين يدي تلك القاتلة فكيف بروبر وهو الرقيق الحس اللطيف الشعور فانه شعر من فعل هذه الصدمة بذل الساقط عن عرش كبريائه وبيأس المجرد من وثيق امله ووطيد رجائه ثم تركته وعادت اليه بعد قليل وقد خلعت ثيابها ولبست لباس الحمام

فدنت منه وهي تضحك من حزنه وغمه وهو يشوى منهما على احر من الجمر وقالت له تكرم ياسيدي روبر واحكم لي رباط ثوبي الذي انفك قالت هذا وادارت له ظهرها فبان من تحت لباس الحمام الحريري الذي يكسوها بشرة هي الثلج بياضاً بل انصع فما مد روبر يده لاحكام الرباط حتى اخذ يرتعد وتولته رعشة من ام رأسه الى اخمص قدمه كمن مسه سلك الكهرباء مما ضاع معه الكتمان فباح لها بوجده قائلا : كفى كفى يا اليس فقد اضعت صوابي واعدمتني رشادي ولم يعد لي طاقة على احتمال هذه الحال معك - كيف ذلك وما الذي جرى - اسمعي يا اليس فلا بد من الكلام معك بالصراحة التامة وهو ما ارجوك ان تقابليني بمثله فها قد مضى ثلاثة شهور لهوت بي في اثنائها كما يلهو الطفل بلعبته ولهوت انا باوهامي فيينا اتوهم في المساء اني خطوت معك خطوةً الى الامام اذا بي ارى نفسي في الصباح حيث كنت بالامس فانا على حد قول الشاعر

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

- انك لا تدري يا روبر شيئا كبيراً من العاب المداعبة وفنونها - ان الحالة التي بلغت اليها ليس في شيء من هزل اللعب بل هي من جد الحب الذي برح بي فلم يعد لي الى اخفائه من سبيل - ويلاه وماذا عساي اصنع أو لعلك تظن بي السوء فتحسب اني امرأة ساقطة يهون عليّ بذل عرضي وثلم شرفي في هذا السبيل - انك غريبة الاطوار يا اليس فلو كنت في الحقيقة حيث تدعين لاستأصلت في البدء جرثومة مطامعي التي ما كانت لتخفى على مثلك ولما تركتها تنمو وتشتد مع الايام حتى بلغت ما بلغته الان لا سيما وانه ليس ايسر للمرأة من الدلالة على عزة جانبها وامتناع قربها

للرجل الذي يعلل نفسه منها بامل او يطمعها بوصل ولكن انت بدلاً من ذلك فقد اعرت لاحاديث تلطفي ثم تحببي اذناً واعية وقلباً سامعاً فمهدت لي سبيل الانطلاق في ميدان الحب وجرأتني على اقتحام مخاوف ما كنت لاقتحمها لولاك وفوق ذلك ألم تسمحي لي امس بقبلة من فمك الحلو . وهل بعد ذلك من دليل على رضاك عني وتشجيعك لحبي - كفى يا روبر تقريعاً وتوبيخاً ولم يبق الا ان تحسب علي انفاسي ذنوبا . ثم زفرت زفرة تحولت عبرة سالت على خدها لؤلوءاً رطباً فما تمالك روبر ان رأها حتى سال قلبه عقيقا على اثرها فقال عفواً يا حياتي عما فرط مني فما انا الا بائس مسكين عاثر الحظ - واني لكذلك يا روبر واعلم باني شعرت بميل اليك حين وقعت عيني عليك لاول مرة يدلك على ذلك ضعفي عن مقاومتك وصدك عني - فاذا كان ما تقولينه صحيحاً فما الذي يحملك على ارجاء زمن هنائنا وسعادتنا - لعلك تنسى اني غير مطلقة السراح واني اقسمت يمين الامانة لزوجي يوم الزفاف - حسن وما قولك بالطلاق - انه لو تم لاضاع علي حضانة وحيدتي وما ارى نفسي قادرة على الافتراق عنها - فما العمل اذن - علينا بالانتظار والليالي كما تعلم من الزمان حبالى يلدن كل عجيبة فقد يمكن ان اصير ارملة - يا لها من فكرة يضيع فيها الشك مع اليقين - ولكن من يدري فقد حلمت بالامس انك تبارزت مع زوجي وانك كنت تهز حساما هائلا فيتراجع امامه خصمك وانت تلاحقه حتى غرزته في بطنه فانشق كما تنشق القربة - نعم واني لا انكر اني اكره زوجك حتى اتمنى له الموت

على ان روبر لو سلط رشده وعقله على قلبه ووعى قليلا فازاح الغرض الذي يغشي على عينيه لتبين انه ليس على الاميركاني من حرج الا انه يهوى

امرأته وهي موضوع مشتهاه بل لوجده زوجاً كما تريد اصطلاحات الناس وتقاليدهم ان يكون وفوق ذلك كثير المجاملة والتلطف معه بحيث لا يمر يوم دون ان يدعوه الى الغذاء او العشاء عنده

جرى الحديث السالف بين العاشقين على شاطئ البحر بينا كانت امواجه تترامى على اقدام اليس فتقبلها وما انتهيا منه على ما رويناه حتى دق جرس الظهر فقال روبر لصاحبته لقد ادركنا نصف النهار وآن اوان الاستحمام اذا لم تشائي ان تتغذي متأخرة - هاءنذا نازلة الى البحر ولكن اين زوجي فاني لا اراه . فتناول روبر للحال نظارته وصوبها الى البحر يفتش عن زوج اليس وظل ينقل نظره من ناحية الى اخرى حتى تبين بعيداً نقطة سوداء تتلاعب بها الامواج فقال اني اراه مديراً وجهه الى هنا مما يدل على انه يتجه الينا ولكني اراه مع ذلك يبعد عنا . ثم تناولت اليس منه النظارة وماصوبتها على المحل الذي دلها عليه روبر حتى قالت له لقد اصبت واني اظن ان التيار يدفعه بعيداً ولكن الى اين انت ذاهب - اني ذاهب اخبر صاحب الحمام لاعداد قارب الانقاذ - وعلام انت مستعجل هذا الاستعجال - ان الرجل لفي اشد حالات الخطر . انظري انه يرفع ذراعه للاستغاثة ومن يدري اذا كنا ندركه فنتمكن من خلاصه قبل فوات الوقت - مهلا يا روبر ودع القدر ينفذ المسطور في لوحه

وكان ينقدح من عيني اليس عندما فاهت بهذه الكلمات شرار اوشك ان يتكهرب منه روبر فيقع صريع الاذعان لتجربتها هذه الشريرة فاجابها وهل كنت تحسبين اني استحل مشترى سعادتي ونعيمي بارتكاب مثل هذه الخساسة السافلة والتحاف هذا العار الذميم كلا ثم كلا . ثم تركها واسرع الى صاحب

الحمام فهيأ القارب وركبه متجها نحو الغريق فما قرب منه حتى كان قد سحبه تيار قوي الى ابعد ثم تداولته الامواج وابتلعته اللجة بالرغم عما ابداه من المقاومة العنيفة فلم يتردد روبر لدى هذا المشهد عن ان القى بنفسه مخاطراً بحياته وغاص في الماء ثم عاد بعد بضع دقائق وهو يحمل الغريق جثة لا حراك بها فنقلها الى الشاطئ وهناك بذل لها من صنوف العناية ما استعاد اليها الروح وردها الى الحياة . وكان قد نمي الخبر الى بعض الافراد فتراكضوا من كل جانب وشهدوا ما بدا من روبر فتقدموا كلهم واحداً اثر واحد يصافحونه ويشكرونه على مروءته وبسالته الا اليس فانها لم تتحرك اولا من مكانها ولكن عادت فرأت ان لا مندوحة لها عن اداء فريضة الشكر لمنقذ زوجها فتقدمت متباطئة الخطى مقرحة الجفون من بكاء الغيظ فقالت له على مسمع من الحضور ولكن بلهجة الممثل على الملعب اني مديونة لك ايها الصديق بحياة زوجي وهي يد لك عندي لن انساها ابداً . ثم مالت على اذنه فنفخت فيها كما تنفخ الافعى سمها كلمات ملؤها الحقد والغيظ لم يسمعها سواه وهي قولها تباً لك من احمق غبي